مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية

اسم المقال: الغزو الإسباني لحضارة الإنكا وتأسيس مملكة قشتالة الجديدة (1532 - 1533 م)
اسم الكاتب: د. حسام جميل النايف
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/2887
تاريخ الاسترداد: 2025/06/13 19:39 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

الغزو الإسباني لحضارة الإنكا وتأسيس مملكة قشتالة الجديدة(1532-1533م)

د. حسام جميل النايف*

الملخص:

تعد إمبراطورية الإنكا من أعرق الإمبراطوريات التي شهدتها القارة الأمريكية، فقد نشأت حضارة هذه الإمبراطورية وترعرعت على أراضي هذه القارة، وشهدت عظمة، وتوهجًا في فنون البناء والنحت، والنقش، والصياغة، والخزف، والأدب، والكتابة، والحساب، والفلك، والأساطير، وتساوت في عظمتها مع حضارات العالم القديم، وفاقتها في بعض المجالات.

ومع دخول الغزو الأوروبي إلى القارة أصاب هذه الحضارة ما أصاب غيرها من الحضارات الكبرى التي شهدتها القارة، فقد هاجمها مجموعة من المغامرين المتوحشين الذين كان هدفهم الوحيد هو الذهب والثروات النفيسة؛ فتم القضاء عليها، وتدمير معابدها وحضارتها، وإبادة سكانها بأقسى أنواع الإبادة.

وقد تضافرت مجموعة من العوامل التي مهدت للإسبان احتلال هذه الإمبراطورية والقضاء عليها بشكل كامل، ومن أهم هذه العوامل: الحرب الأهلية بين ملوكها التي انتهت قبيل وصول الإسبان بوقت قصير، وعليه فالوحدة التي جعلت من الإنكيين قوة عسكرية قد تفككت قبل وصول الإسبان. أما العامل الثاني فكان انتشار الأمراض الأوروبية الذي حدث بشكل سريع في أنحاء منطقة الأنديز. وهذه الاوبئة، مثل الحصبة، والجدري، وحمى التيفوس، والأنفلونزا، نقلها الإسبان إلى المكسيك أثناء فتوحاتهم لتلك المنطقة ابتداء من العام 1519م. وانتشرت هذه الأمراض جنوبًا عن طريق سكان أمريكا الوسطى الأصليين، وفي نهاية المطاف وصلت إلى البيرو. ولم تكن لدى شعوب العالم الجديد الأصلية مقاومة ضد هذه الأمراض، ففتكت بهم، ففي بعض المناطق قضى ما يصل إلى 90 % من السكان، فيما تركت الأمراض الناجين منها محطمين نفسيًا.

* جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ.

Spanish Invasion of the Inca Civilization and the Establishment of the new Kingdom of Castile .

Dr. HossamJameel Al nayef[**]

Abstract

Empire of the Incas is one of the oldest empires in the American continent. This empire grew and flourished on the continent. It witnessed greatness and glamour in the arts of construction, sculpture, engraving, drafting, ceramics, literature, writing, calculus, astronomy and mythology ,and it was equal to the civilizations of the ancient world, and surpassed it in some areas. With the advent of the European invasion of the continent ,this civilization was hit and attacked by a group of savage adventurers whose aim was to steal gold and precious wealth. It was eliminated, and its temples and civilization were destroyed. and the extermination of its inhabitants in the most extreme forms of genocide.

A number of factors paved the way for the Spanish to occupy and eliminate this empire completely. The most important of these factors: civil war between the kings, which ended shortly before the arrival of the Spaniards. Thus, the unity that made the Enquies so much military power disintegrated before the arrival of the Spanish. The second factor was the rapid spread of European diseases throughout the Andean region. These epidemics, such as measles, smallpox, typhoid fever and influenza, were transmitted by the Spaniards to Mexico during their conquests in that region beginning in 1519. These diseases spread south through the indigenous Central American population, and eventually reached Peru. The indigenous people of the original world had no resistance to these diseases, and they were fed up with them. In some areas, up to 90% of the population died, leaving survivors' diseases psychologically injured.

[**] Damascus University, Faculty of Arts and Humanities, History Department.

المقدمة:

اشتمل العالم الجديد (الأمريكيتين) على إمبراطوريات وتاريخ وحضارة عاشت وترعرعت على أراضي هذه القارة، من أهمها: حضارة المايا، وإمبراطوريتا الأزتك في المكسيك، والإنكا في بيرو.

وشهدت هذه الإمبراطوريات والحضارات عظمة وتوهجًا في فنون البناء والنحت، والنقش، والصياغة، والخزف، والأدب، والكتابة، والحساب، والفلك، والأساطير، وتساوت في عظمتها مع حضارات العالم القديم، وفاقتها في بعض المجالات.

وكانت حضارة الإنكا من أعظم الحضارات التي نشأت في القارة الأمريكية وتشهد الأوابد والآثار الباقية منها على مدى التقدم والرقي الذي شهدته هذه الحضارة العظيمة.

ومع دخول الغزو الأوروبي إلى القارة أصاب هذه الحضارة ما أصاب غيرها من الحضارات الكبرى التي شهدتها القارة، فقد هاجمها مجموعة من المغامرين المتوحشين الذين كان هدفهم الوحيد هو الذهب والثروات النفيسة، فتم القضاء عليها، وتدمير معابدها وحضارتها، وإبادة سكانها بأقسى أنواع الإبادة.

أولًا: حضارة الإنكا:

لم تكن هناك بلاد تبدو أكثر أمنًا من تلك المملكة الرابضة بين مرتفعات الجبال في نهاية العالم. إنها مملكة الإنكا في جبال الأنديز بالقرب من الشاطئ الغربي لقارة أمريكا الجنوبية، ومكانها الآن دولة البيرو.

وكان شعب الإنكا[1] قد عاش في منطقته المنعزلة النائية هذه زهاء ألف سنة على أقل تقدير، وتمكّن خلال هذه المرحلة من صنع حضارة راقية، فأنشأ إمبراطورية عزيزة الجانب يحكمها ملك مطلق السلطات يلقب بـ "الإنكا"، ومن هذا اللقب جاء اسم الشعب الذي ينتمي إلى جنس الهنود الحمر[2] الذين كانوا يعمّرون الأمريكيتين قبل قدوم الغزو الأوروبي. ولما كانت الأرض كلها جبلية وعرة؛ لذلك فقد نحتها شعب الإنكا على شكل

---

[1]– **الإنكا:** لقد طمس أصل سلالة الإنكا في ضباب أسطوري؛ إذ يقولون إنه جاء في القرن الحادي عشر ثلاثة رجال وامرأة إلى الجبال، وتسلقوا حتى وصولوا إلى غابات الأمازون، وبعد وصولهم إلى تلال "كوزكو" حط الأربعة ووضعوا قطعة ذهبية ادعوا أنهم ورثوها عن أبيهم "إله الشمس" الذي قال لهم: أينما تغوص القطعة الذهبية في الأرض فهو مكان سكنكم، وقام اثنان من الأخوة بتحويل أنفسهم إلى صخور مقدسة، وتزوج الباقيان من ذكر وأنثى، وبقيت عدة أجيال من الأخوة يتزاوجون فيما بينهم. وقد حكمت سلالة الإنكا في سلالة صغيرة في البدء، وبدأت بقية القبائل المجاورة بمهاجمتهم، ولكنهم انتصروا عليها وأنشأوا إمبراطورية امتدت عبر جبال الأنديز؛ انظر: كورتيل، آرثر: قاموس أساطير العالم، ترجمة: سهى الطريحي، دار نينوى للنشر، دمشق، 2010، ص: 181.

[2]– **الهنود الحمر:** اسم أطلق خطأ على السكان المحليين في القارة الأمريكية وأول من أطلقه عليهم الرحالة كريستوف كولومبس عند وصوله إلى العالم الجديد معتقدًا بشكل خاطئ أنه وصل إلى الهند، ثم أضيفت كلمة الحمر إلى الهنود لتميزهم عن هنود آسيا؛ الباحث.

شرفات متصاعدة يزرعون فيها محاصيلهم وأهمها "الكوكا". ونحتوا بين معارج الجبال شبكة من الطرق الممهدة تقفز فوق العقبات بواسطة جسور وأنفاق غاية في الدقة الهندسية[3]. لم تكن أوروبا نفسها تعرف مثل هذا التقدم الهندسي في ذلك الحين، أما شعب الإنكا فقد برع في الهندسة والعمارة والحساب، وكان له تقويم شمسي دقيق بحسب دورة الأفلاك السماوية إلى أقصى حد مستطاع من الدقة، وكانت له مدن زاهرة حصينة بين الغابات وذرا الجبال لا يمكن أن يقتحمها عدو، كما برع هذا الشعب في فنون النحت وصناعة التحف والتماثيل وسبك المعادن[4].

أ- نظام الإدارة والحكم والقانون عند الإنكا:

لما سار الفاتحون الإسبان يقودهم فرنشيسكو بيزارو "Francisco Pizarro"، إلى كاجاماركا "Cajamarca" في 1532م، واجهوا إمبراطورية أوسع مما عرفوا في العالم الجديد، وكان الإنكيون يسمون إمبراطورتيهم "تاوانتنسويو–Tahuantinsuyu" التي تعني بلغتهم الكيتشوية "Quechua" الأصلية "أرض المناطق الأربع". وكانت تلك الإمبراطورية تمتد على مساحة ثلاثة آلاف كيلومتر، وتمتد من الحدود الكولومبية الأكوادورية الحالية حتى أواسط تشيلي، ومن المحيط الهادئ حتى مرتفعات الأنديز. وكانت هذه المنطقة تضم فعليًا كل أنماط البيئة ابتداء من أشد صحارى العالم جفافًا إلى الغابات الاستوائية الرطبة، ومن مستوى البحر إلى نحو يرتفع عن مستوى البحر بسبعة آلاف متر[5].

لا شك في أن أحد الأسباب الرئيسة في نجاح الإنكيين في بناء إمبراطورتيهم كان تنظيمهم العسكري. فتفوق جيشهم، وقادته، وتجهيزاته، وتكتيكاته، ساعدهم على إيقاع الهزيمة بأعدائهم، وكان جيشهم منضبطًا بشكل عالٍ، ويتألف في غالبيته من أفراد جُنِّدوا من بين شعوب سبق وأن فتحوا بلادها[6].

والمفتاح الثاني لنجاح الإنكيين في تشكيل إمبراطورية موحدة تمثل بتنظيمهم للشعوب المفتوحة بلادها، وينسب إلى باتشاكوتي "Pachacuti"، تاسع ملوكهم، إقامة دعائم الإمبراطورية، وجعلها تسير بفعالية، مع احتمال بدء تلك العملية في وقت سابق عليه. فقد قسمت الإمبراطورية إلى أربعة أقسام، تنطلق خطوط عزلتها عن بعضها من مدينة كوزكو

3- Barbara. A; Somervill: Empire of the Incas, Chelsea House, New York, 2009, P: 25.

4- موسى، محمد العزب: حضارات مفقودة، ط2، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1992، ص: 125

5- مالباس، مايكل. أ: عصر الإنكا، ترجمة: فالح حسن فزع، ط1، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، مشروع كلمة، أبو ظبي، 2012، ص: 43.

6- Rowe, John. H: Inca culture at the time of the Spanish conquest, In Handbook if South American Indians, Vol(2), The Andean Civilizations, edited by: Julian. H, Steward, 183-330, Washington, DC: Bureau of American Ethnology, 1946, P: 274.

"Cuzco"، العاصمة. وكانت هذه الأقسام متساوية بعضها مع بعض في الحجم[7]. وكانت إمبراطورية الإنكا تسير ببنية إدارية محكمة تجمع الضرائب وتوزعها. فعلى رأس هذه البنية يقف الملك الذي كان السلطة العليا في الأمور كلها. ودون الملك مسؤولون أربعة، يسمون أبوس، ويتولى كل واحد منهم شأن منطقة من المناطق الأربع. وكان هؤلاء المسؤولون مستشارين مقربين لدى الملك، والأرجح أنهم من أقربائه أيضًا. وكان على كل مقاطعة حاكم مسؤول عن شؤونها، وجرت العادة أن يكون إنكيًا من كوزكو[8]. وكانت إمبراطورية الإنكا تضم ما يزيد عن 80 مقاطعة؛ وأقيمت المقاطعة على أساس تكوينها من 20 ألف أسرة بغية إدارة حكمها بفاعلية. فقد كان نظامًا تراتبيًا، يكون فيه الحكّام مسؤولين أمام من هم أعلى منهم، وكانت الحسابات في هذا النظام تعتمد نظامًا عشريًا مثل حال معظم البلدان الحديثة في يومنا هذا. وكان بإمرة كل حاكم مقاطعة مسؤولان اثنان يسميان كوركا "*curaca*" يتولى كل واحد منهما قسمًا. ومسؤوليتهم الرئيسة السهر على العدد الملائم الصالح للعمل لدى الإنكيين، وتوزيع حجم العمل بين الأسر التي يتولى كل واحد فيها مسؤولية معينة فيها. ومن واجبات الكوركا أيضًا ضمان إنتاج الكمية الدقيقة من الخراج ونقله إلى أقرب مركز إنكي، وتخصيص قطعة أرض مناسبة لكل أسرة لتعيل نفسها من هذه الأرض.

أما القانون الإنكي فكان يسري على أنشطة كثيرة من قبيل قوانين العشيرة، وتقسيم الأرض، وسياسة مناوبة العمل، بل حتى إعانة كبار السن والعاجزين[9]. وكان القانون الإنكي صارمًا إلى حد بعيد، فهو يمتد إلى حد إيقاع العقوبات عند ارتكاب مخالفات كثيرة. وكلما كان مقام الفرد رفيعًا صارت العقوبة على جرمه أشد وطأة. وكان النظام القضائي قائمًا على نظام إداري يترأس دعاويه الكوراكا المناسب[10].

ب- اللغة:

يتحدث الإنكيون اللغة الكيشوية، وكانت تتحدث هذه اللغة أصلًا عدة مجموعات إثنية أخرى كانت تعيش في منطقة الأنديز نفسها مثل الإنكيين. وقد جاء اسمها في الواقع من مجموعة إثنية تسمى كيشوا، عاشت إلى الشمال من الإنكيين، لكنها ذابت في الإمبراطورية منذ وقت مبكر جدًا.

---

[7]- مالباس، مايكل. أ: عصر الإنكا، ص: 78.

[8]- Somervill; Barbara. A: Empire of the Incas, P: 37.

[9]- Kendall, Ann: Everyday Life of the Inca, New York, G. P. Putnam and Sons, 1973, p: 59.

[10]- Rowe, John. H: Inca culture at the time of the Spanish conquest, P: 271.

لا يوجد عند الإنكيون لغة كتابية، فكل ما هو معروف عن الكيشوا الإنكية يأتي من الكتّاب الإسبان المبكرين، ولم يذكر أي منهم قواعد محددة فيما يخص كيفية كتابة تلك اللغة؛ لذا ليس استثنائيًا رؤية أشكال إملائية مختلفة للكلمة نفسها[11].

جـ- الهندسة والعمارة:

كان الإنكيون مهندسين مهرة، و تبرهن على هذا الأمر كثير من مبانيهم، ليس لأن العديد من مبانيهم مازال قائمًا بعد انقضاء نحو 500 عام في أكثر مناطق العالم نشاطًا بركانيًا؛ بل إن نظم الري الذي أوجدوه لا تزال عاملة، و ولازالت مصاطبهم الزراعية تنتج الذرة والبطاطا ومزروعات أخرى.

لعل الإنكيين هم الأكثر شهرة بأسلوبهم في تشييد حجارة البناء بإحكام ؛ إذ لا يمكن للمرء أن يمرر نصل سكين بينها. وما هذه التقنية إلا واحدة من عدة تقنيات كان الإنكيون يستخدمونها ويدخرونها لأكثر الأبنية أهمية كالمعابد[12]، ومباني الإدارة، وقصر الملك. أما أكثر التقنيات شيوعًا فكانت تستعمل في معظم الأبنية الأخرى، وقلما تعد هذه البنايات إنكية الأصل، وكانت المباني الإنكية تصنع عادة من الحجر، وتوضع طبقة من الطين أو الصلصال على الجدران ثم تدهن، وأشهر المباني الإنكية مشيدة من حجر فاخر، من حجارة مصفوفة بعناية إلى درجة أن الواحدة تلصق بالأخرى بدقة، ولإنجاز الجدران بمظهر صقيل ومتسق بنحو استثنائي كان عمال البناء الإنكيون يستعملون أدوات من حجر آخر أشد صلابة وأزاميل برونزية. وكانوا ينحتون الحجارة بأشكال مربعة أو مستطيلة تقريبًا، ثم يستعملونها كالقرميد. ويظهر أن هذا الأسلوب مخصص لأكثر البنايات أهمية؛ ومن المتعارف عليه أن تكون المباني المستطيلة مجموعة في "كانتشا" "**Kancha**"؛ أي مجمع من ثلاثة مبان أو أكثر تحيط بفناء مفتوح. وكانوا يحيطون المجمع بسور، وقد يكون الكانتشا كحال البناء المستطيل الأساس صغيرًا أو واسعًا. وكانت الكانتشا تفيد في جملة أغراض، فكان كثير منها مساكن، وكان بعضها يستخدم كمعابد أو مناطق لمصانع يدوية.

ولعل المبنى الأكثر أهمية في الإمبراطورية (معبد كوريكانتشا "معبد الشمس") في العاصمة كوزكو، وتعد جدرانه التي لازالت قائمة من بين أرفع الأمثلة على البناء الصخري الإنكي في أي مكان. ويؤوي هذا المعبد أكثر الأرباب أهمية في الإمبراطورية،

---

[11]- مالباس، مايكل. أ: عصر الإنكا، ص: 80-81.

[12]- كانت المعابد الإنكية هرمية الشكل تشبه إلى حد كبير الأهرامات التي شهدتها الحضارة المصرية القديمة؛ وهي تسمَّى أيضًا الأهرامات على الرغم من وجود اختلافاتٍ نسبيةٍ في هيكلها واستعمالها؛ فهذا كلُّه يوحي باحتمالات وصول الفراعنة إلى هناك، ولاسيما أن شعب الإنكا كان يقوم بتحنيط الملوك كما جرت العادة عند المصريين الفراعنة؛ للمزيد انظر: خليل، نبيل خليل: أمريكا بين الهنود والعرب، ط2، دار الفارابي، لبنان، 2006م، ص: 19-20.

فضلًا عن مومياء لبعض ملوكهم، ويغلف الذهب جدرانه الداخلية. وتوجد معابد أخرى عدة في كوزكو، لكن لم يبق منها إلا القليل بعد الغزو الإسباني الذي كان من أبرز غاياته طمس الديانة الإنكية تمامًا[13].

د- ديانة الإنكا:

كانت ديانة الإنكيين معقدة للغاية، وتشكل جزءًا أساسيًا من الحياة الإنكية. فقد كانت ديانتهم تشدد على الالتزام بالرسميات والطقوس، وكانت معظم الأنشطة تركز على عبادة الرب، أو علاج المرض؛ لهذا السبب كان لدى الإنكيين مجموعة كبيرة من الكهنة يديرون ممارسات الدولة الدينية الرسمية، وآخرون يشغلون موضع استشارة للمساعدة في أمور شخصية الطابع.

وأدّت الأسطورة دورًا مهمًا في ديانة الإنكيين، وتسوغ أسطورة أصل الإنكيين علو شأنهم الاجتماعي على سائر الناس، فكان أبوهم المؤسس. وأول ملوكهم مانكو كاباك "Manco Capac"، قد خرج إلى الأرض من كهف في مكان يدعى باكاريكتامبو "**Pakarectambo**" يرافقه ثلاثة أشقاء وأربع شقيقات. وبعد سنوات عدة انتقلوا إلى كوزكو مع مجموعة أشخاص آخرين من الموالين لهم، وعند وصولهم وادي كوزكو غرس الإنكيون عصى ذهبية في الأرض، وكانت هذه العصى علامة على أن هذا المكان سيكون محل إقامتهم الدائمة.

ومهما يكن من أمر هذه الأسطورة والروايات الأخرى لها فقد تضمنت أن نسل مانكو كاباك وزعماء الإنكيين هم الإنكيون النبلاء الوحيدون، وأن الآخرين تابعون لهم. كما تسوغ الأسطورة التقليد الملكي الإنكي في زواج الملك من شقيقته[14].

وقد كان لدى الإنكيين آلهة كثيرة لكل واحدة منها مجال معين من النفوذ والسطوة. وكان أشدها سطوة "فيراكوتشا" "**Veracocca**" الخالق. ولم يكن هذا الإله ذكرًا ولا هو أنثى. ورأى الإسبان تماثيل عدة لهذا الكائن في معابد متعددة. وكان أحد تلك التماثيل، وهو من الذهب الخالص في كوزكو.

كان الآلهة الثلاثة الكبار الذين تحت "فيراكوتشا" هم: إنتي "Inti" أي الشمس، و"والابا" "Illapa" أي الرعد أو إله الطقس، و"ماما-كيلا" "Mama Quilla" وهي القمر. أما "إنتي"، وهو أقواهم، فكان إله الزراعة. وكان هذا الإله ممثلًا بقرص ذهبي تخرج منه أشعة وفي وسطه وجه بشر. وأما "إلابا"، ويلي الأول قوة، فكان مقترنًا بالمطر. وكان

---

[13]- Somervill; Barbara. A: Empire of the Incas, P: 119-124.
وانظر أيضًا: مالباس، مايكل. أ: عصر الإنكا، ص: 106-112.

[14]- Somervill, Barbara. A: Empire of the Incas, P: 17-18.

يصور عادة كرجل في السماء يرتدي ملابس مشعة، ممسكًا بهراوة حرب في يد ومقلاع في اليد الأخرى. أما "ماما-كيلا"، فكانت امرأة وهي زوجة الشمس. ولا يبدو أن للقمر وظيفة خاصة، لكن دورة القمر هي أساس التقويم الطقوسي الإنكي[15].

وكانت الطقوس-بمعنى تطبيق المعتقدات الدينية- مظهرًا جوهريًا من مظاهر الحياة بالنسبة إلى الإنكيين. فقد كان أحدهم يقيم طقوسًا لئلا تتعرض حياته ورفاه عيشه للخطر، أو ليدرأ الأرواح الشريرة عن نفسه، فإذا أجريت الطقوس بالنحو الصحيح، فبالإمكان تجنب المصائب. وتكاد الطقوس جميعها عندهم تجري بتقديم أضاحٍ من نوع ما، ومعظم هذه الأضاحي خنازير أو لاما[16]، لكنهم يضحّون أحيانًا بأطفال. وكانوا يخصون آلهتهم الكبيرة بحيوانات لاما ملونة متميزة يقدمونها أضاحي لها. وكانوا يضحون بالحيوان بذبحه[17]. وتستعمل الأصداف البحرية والذهب والفضة وطحين الذرة كقرابين أيضًا؛ كانت أكبر الاحتفالات شأنا هي التي تقام عند الكوارث الطبيعية، والحروب، وتتويج الملوك الجدد، وتتطلب تقديم أضاحٍ بشرية. وقد تبدو ممارسة التضحية بطفل قاسية بالنسبة إلى القارئ، لكن على المرء أن يتذكر أن التضحية تجري حصرًا لأكبر الدواعي الدينية شأنًا. وكانوا يقدمون بشرًا في مثل هذه الأحداث؛ لأنهم كانوا يعدون البشر أثمن شيء يمكن التضحية به للآلهة. ويحتمل أنهم كانوا يقدمون الأطفال أضحيات بدلًا من الكبار؛ لأنهم أكثر نقاء روحيًا من البالغين. ومع أنها كانت -بلا شك- تجربة عاطفية مؤلمة لعائلات الأطفال المضحى بهم، إلا أن اختيارهم كان يعد شرفًا كبيرًا للطفل وأسرته على حد سواء[18].

هـ- علوم الإنكا وتقاويمهم:

من غير المؤكد إذا ما كانت علوم الإنكيين أكثر تطورًا من العلوم في مناطق أخرى من عالم القرن السادس عشر. ولا شك في أن ملاحظات الإنكيين الفلكية وتقاويمهم لم تكن بمستوى دقة جماعات أخرى كالمايا[19] على سبيل المثال. ومع ذلك فمن الواضح أنهم كانوا يفهمون مبادئ علمية ورياضية عدة، ولاسيما تلك المطلوبة في مجال الهندسة؛ لأنهم شيدوا أبنية ضخمة لا تزال قائمة حتى اليوم.

---

[15]- مالباس، مايكل أ: عصر الإنكا، ص: 155-160.

[16]- **اللاما:** وهو حيوان الحمل الوحيد الذي يعرفه شعب الإنكا، ويشبه الغزال.

[17]- Rowe, John. H: Inca culture, P: 306.

[18]- مالباس، مايكل. أ: عصر الإنكا، ص: 166-167.

[19]- **المايا:** امتدت حضارة المايا من منتصف القرن الثالث الميلادي إلى القرن العاشر الميلادي. وخلال هذه الفترة أسس المايا أكبر مدنهم، وحققوا إنجازاتهم المتميزة في مجالات الأدب والعلوم فضلًا عن ذلك بدأ المايا ممارسة تشييد النصب التذكارية تخليدًا للأحداث المهمة في حياة قادتهم؛ مجموعة من المؤلفين: ط1، الموسوعة العربية، دمشق، 2007، جـ17، ص: 598-600.

أما فيما يخص الرياضيات فيُظهر من الدراسات أن الإنكيين كانوا يستعملون نظام عدٍّ عشري. كما أنهم أدركوا مفهوم الصفر؛ لأن هناك مكانًا لـ "لا وحدات" في الكيبو[20]. وكان على الإنكيين استعمال وحدات قياس موحدة لتخطيط أعمال البناء الكبيرة لديهم، وكانت لديهم وحدات لقياس المساحة أيضًا؛ وكان الإنكيون يقومون بمشاهدات فلكية، لكنها تعنى فقط بالشمس والقمر وبعض الكواكب. وكانوا يعدون معظم الأجرام الفلكية آلهة، مثلما كان الحال لدى كثير من الشعوب القديمة. ومن هنا لم تكن دراسة حركاتها مهمة بقدر أهمية تبجيلها؛ لهذا السبب فإنه من المحال فهم الفلك لدى الإنكيين من دون مناقشة علاقته بالتقويم الإنكي وطقوسه. ويلاحظ مؤرخون إسبان وجود أعمدة تنصب على التلال الواقعة خارج كوزكو، حيث يمكن تعيين الانقلاب الشمسي من أحد الميادين في وسط مدينة كوزكو. على أن هناك اختلافات بين الحسابات من حيث عدد الأعمدة ومواقعها[21]؛ وكان الإنكيون يستعملون تقويمين مختلفين، واحد للنهار والآخر لليل، وكان التقويم النهاري قائمًا على أساس الدورة الشمسية، وكان طوله تقريبًا 365 يومًا. وكان يستعمل للأنشطة الاقتصادية، مثل الزراعة، والتعدين، والحرب، وأعمال البناء. وكانت حركة الشمس ذات أهمية خاصة لتقويم الإنكيين الزراعي؛ لذلك يستعمل لتحديد الغرس. وكان التقويم الليلي مستندًا إلى الدورة القمرية التي تتكون من 29,5 يومًا بين الأهلة. وهذا ما يجعل العام يتكون من 245 يومًا، ومن شأن هذا أن يبعد التقويمين النهاري والليلي عن التزامن فيما بينهما؛ والواضح من تقويمي الإنكيين الاثنين أنهما يستعملان لتحديد وقت إقامة الاحتفالات المهمة، وليس مجرد تحديد الوقت، وهذا يتصل بمعتقدات الإنكيين في ألا يحدث شيء هكذا عرضًا؛ إنما خلفه قوة خارقة للطبيعة[22].

ثانيًا: الغزو الإسباني لإمبراطورية الإنكا وتأسيس مملكة قشتالة الجديدة (1532م):

أ- أوضاع إمبراطورية الإنكا في مطلع القرن السادس عشر:

بلغت إمبراطورية الإنكا ذروتها في عهد الملك أوينا كاباك "**Owena** Capac"، فقد وصلت الإمبراطورية في زمانه إلى أقصى اتساعها، وكانت التغيرات التنظيمية التي نفذها هذا الإمبراطور والرامية إلى توحيد الجماعات العرقية المستعمرة ماضية إلى التحقق، ولكن وفاته المفاجئة عام 1528م قادت الإمبراطورية إلى حرب أهلية قضت

---

[20]- **الكيبو**: إطار فيه صفوف أسلاك أو أخاديد على طولها تنزلق خرزات، تستعمل للعد والحساب، وعادة ما تستعمل لتعلّم الأطفال العد.

[21]- Somervill; Barbara. A: Empire of the Incas, P: 119-120.

[22]- مالباس، مايكل. أ: عصر الإنكا، ص: 172-175.

عليها في النهاية، إذ إن أوينا كاباك وريث توبا إنكا "Tupa **Inca**"، حكم أربعة وثلاثين عامًا، لكنه توفي فجأة، ومات وريثه المختار أيضًا. وادّعى ابنه البك، أواسكار"**Awaskar**" الذي كان يعيش في كوزكو الملكَ. على أن ابنًا آخر له يدعى أتاوالبا "Atahuallpa" وكان يعيش مع والده في كيتو نودي به ملكًا على كيتو، وجعل ندًا لأواسكار. فجيّش المتنافسان الجيوش، واندلعت حرب أهلية قطعت أوصال الإمبراطورية إربًا إربًا. ونظرًا لتمتع جيوش أتاوالبا بتدريب أفضل وخبرة فضلًا عن تفوق قادته، فقد كان النصر حليفه. وقد سمع أتاوالبا بأخبار وصول الإسبان إلى شمال البيرو في الوقت نفسه تقريبًا الذي سمع فيه بنبأ انتصار جيشه النهائي على أواسكار. وعند وصول الإسبان إلى ساحل البيرو الشمالي عام 1532 كان أتاوالبا يسير جنوبًا إلى كوزكو لينصب نفسه ملكًا على الإنكا إثر هزيمة أواسكار.

وقد تضافرت مجموعة من العوامل مهدت للإسبان احتلال هذه الإمبراطورية والقضاء عليها بشكل كامل، ومن أهم هذه العوامل: الحرب الأهلية بين أواسكار وأتاوالبا التي انتهت قبيل وصول الإسبان بوقت قصير. فقد تصارعت في هذه الحرب الجيوش الإنكية والأيلو الملكي بعضها مع بعض. وبعد انكسار جيوش أواسكار نهائيًا استدار قادة أتاوالبا المنتصرون، فاعتقلوا وأعدموا نبلاء كوزكو الإنكيين الموالين لأواسكار. وهكذا فالوحدة التي جعلت من الإنكيين قوة عسكرية بذلك النحو تفككت قبل وصول الإسبان.

أما العامل الثاني فكان انتشار الأمراض الأوروبية السريعة في أنحاء منطقة الأنديز. فقد مات والد أتاوالبا وأواسكا، وأوينا كاباك فجأة، ويعتقد عدد من المؤرخين أن موته ربما كان بسبب مرض وبائي، وهذه الأوبئة: مثل الحصبة، والجدري، وحمى التيفوس، والأنفلونزا، نقلها الإسبان إلى المكسيك في أثناء فتوحاتهم تلك المنطقة ابتداء من العام 1519م. وانتشرت هذه الأمراض جنوبًا عن طريق سكان أمريكا الوسطى الأصليين، وفي نهاية المطاف وصلت إلى البيرو. ولم تكن لدى شعوب العالم الجديد الأصلية مقاومة ضد هذه الأمراض، فعاثت بهم فتكًا. ففي بعض المناطق قضى ما يصل إلى 90 % من السكان، فيما تركت الأمراض الناجين منهم محطمين نفسيًا[23]. ولأن الأوبئة تنتشر بوتيرة أسرع في المناطق ذات الكثافة السكانية العالية، فقد تناقصت أعداد المجتمعات الساحلية بمستوى أكثر من المجتمعات الجبلية. ولعل إسهام الخسائر الهائلة التي أوقعها المرض كانت أكبر بكثير من حصة الإسبان وبنادقهم في غزو الإنكيين[24].

---

[23]- Bruhns, Karen. O: Ancient South America, Cambridge, Cambridge University press, 1994, P: 375.

[24]– مالباس، مايكل. أ: عصر الإنكا، ص: 206.

ب- الغزو الإسباني:

كان أمر طبيعي ومنطقي أن يبدأ غزو أمريكا واستعمارها من المستعمرة الأولى التي أنشأها الفاتحون في **سانتو دومينجو**، فلم يحل عام 1600م حتى كانت الأراضي الممتدة من **المكسيك الجديدة وفلوريدا** شمالًا إلى **تشيلي** ونهر **دي لا بلاتا** جنوبًا-ما عدا البرازيل- تخضع للسيطرة الفعلية لعرش قشتالة[25]؛ لقد انتهت عملية الغزو كلها في مدة خمسين سنة، قام خلالها الغزاة الأوروبيون بالاستيلاء على إمبراطوريتي الأزتك والإنكا، وإخضاع القبائل، واحتلال ثلثي سواحل القارة. ومهما كان الوصول إلى أمريكا سهلًا ومهمًا، وكانت وسائل الإسبان متفرقة، وكان نجاحهم عجيبًا؛ لأن بعض آلاف من الرجال قد تمكنوا من الانتصار على ثلاثين مليون من الهنود الحمر، كما انتصروا على البعوض، والزواحف، والحُمّيات، وثلوج الجبال، وشمس المناطق الاستوائية، ووحوش الغابات. ولاشك في أنهم كانوا قد تمرنوا على المتاعب الجسدية، وشحذوا هممهم وعزائمهم في حروبهم المتصلة ضد المغاربة في الأندلس، كما شحذوا بشعورهم بالتفوق الحضاري والإثني على غيرهم؛ ولذلك فإنهم كانوا يسمحون لأنفسهم بكل شيء دون تردد[26].

وكانت الدوافع التي أوحت لملك قشتالة وملكتها بخلق إمبراطورية مترامية الأطراف في القارة الأمريكية هي الرغبة في الاستحواذ على ممتلكات أوسع كثيرًا مما كانا يمتلكان، ونشر الدين المسيحي، والحصول على إيرادات كبيرة. أما الفاتحون الإسبان الأولون فكانت تحركهم بسبب دوافع عدة، واختلفت هذه الأسباب قوة باختلاف الأفراد، والزمن، والمكان. فمنهم من دفعته الرغبة في الظفر بالثروة والمكانة، ومنهم من عمل لرفعة مقام عرش قشتالة ومجده، أو لنشر المسيحية، ومنهم من أغواه حب المغامرة.

وقد تمت أهم الفتوح الأولى من دون أن يتحمل التاج أي تكاليف مباشرة، فإن قواد الحملات كانوا أفرادًا فتحوا ما فتحوا من أراضٍ على نفقتهم الخاصة، وبدوافع من أنفسهم، أو باسم الجالس على العرش، أو بمقتضى مراسيم ملكية، في رجاء الحصول على إيرادات الأراضي التي وقعت في قبضتهم، أو منحهم حق حكمها وإدارتها. وعلى هذا الهدى فتح كورتيس "Cortés" المكسيك، وألفارادو "Alvarado" جواتيمالا، وبيثارو "Pizarro" البيرو، ويمينيس دي كيسادا "Yemeenes de Quesada" غرناطة الجديدة[27].

---

[25]- لانجر، وليام: موسوعة تاريخ العالم، ترجمة: محمد مصطفى زيادة، جـ4، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة-نيويورك، 1963، ص: 1286-1289.

[26]- يحيى، جلال: التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، سيطرة أوروبا على العالم، جـ4، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، د. ت، ص: 216.

[27]- لانجر، وليام: المرجع نفسه، ص: 1287.

وكان مشروعهم للاستعمار مشروعًا عامًا، وخاصًا في الوقت نفسه؛ لأنهم كانوا مزودين بمرسوم ملكي، وكانوا يحاربون، وينتصرون باسم ملك إسبانيا ولحسابه، ولكنهم كانوا ينظمون حملاتهم على نفقتهم الخاصة أو لحساب أصحاب رؤوس الأموال المستعدين لتمويل مثل هذه المغامرات. وفي الحالة الأخيرة كانت هناك عقود موثقة تحدد نصيب كل طرف من الأطراف المساهمة وحقوقها. وكان هدفهم اكتشاف أراضٍ جديدة، والإقامة فيها بأحقية وأولوية الوصول إليها وحكمها، واستغلال الأراضي والمعادن النفيسة، والمعيشة بألقاب طنانة وبمجد يثير الغيرة، والحسد لأكبر سادة قشتالة في ذلك الوقت. ويمكننا أن نذكر هنا بعض الأسماء لقادة الغزو الذين سجلوا أسماءهم في العالم الجديد، مثل: بالبو، وكورتيز، وبيثارو، وربما كان الحظ قد ساعدهم أكثر من غيرهم، ولكنهم استحقوا تسجيل أسمائهم في التاريخ وإن كان ذلك بناء على المآسي التي ارتكبوها في القارة الأمريكية[28].

شكّلت البيرو منذ شاعت أول الأخبار عن وجودها عام 1513م محط اهتمام المغامرين جميعهم، فهي الأرض الموعودة التي حلموا جميعًا بغزوها، ومحركة الحملات التي أخضعت أمريكا الجنوبية كلها خلال ثلاثين سنة.

وفي عام 1522م، قرر مستوطنان متواضعان أن يضما ما معهما من أموال ليمولا حملة جديدة، ويقتسما مكاسبهما في حصص متساوية مع حاكم بنما مقابل إضفائه الشرعية على عمليات السلب، ومنحهما رتبة القائد التي لا بُدَّ منها للفاتح. وهكذا انطلق **فرانثيسكو بيثارو**[29] **وديبغو دي ألماغرو** "Diego de Almagro"، الجنديان المغموران اللذان لا يتقنان القراءة والكتابة، نحو مملكة الذهب النائية التي سيدمرانها[30].

وفي عام 1531م بدأ بيثارو الإبحار نحو الجنوب فيما وراء بنما، وكان برفقته ثلاث سفن، وذلك في محاولة أخرى. وكما حدث للأزتك في مكسيكو، حدث للإنكا في البيرو. وفي هذه المرة تمتع الإسبان بالقدرة والتفوق واستعمال العنف والقسوة. فكان بيثارو قد

---

[28]– يحيى، جلال: المرجع نفسه، جـ4، ص: 216–217.

[29]– **فرنشيسكو بيثارو**: فاتح إمبراطورية الإنكا، ومؤسس مدينة ليما، عاصمة البيرو. ولد في تورخيلو بإسبانيا في 1478م، تقول مصادر بيروفية: إنه ابن غير شرعي لغونذالوا بيزارو دي رودريغذ –دي أغويلا، قائد قوات المشاة الملكية الإسبانية، وامرأة عادية من عامة الناس تدعى فرانشيسكا غونذاليز ماتيوس. وأول حملة له كانت على جزر الهند الغربية التي تعرف اليوم باسم هاييتي في 13 شباط 1502، وأقام فيها مع شقيق والده، ومنها انطلق بحملته الأولى لفتح إمبراطورية الإنكا، ففشل، ولم يحصل على الدعم اللازم لإعادة الغزو، فعمد إلى مقابلة ملك إسبانيا، وبغياب هذا الأخير حصل على موافقة من الملكة؛ انظر: مالباس، مايكل. أ: عصر الإنكا، هامش رقم 1، ص: 43.

[30]– سيجورنه، لاوريت: أمريكا اللاتينية الثقافات القديمة ما قبل الكولومبية، ترجمة: صالح علماني، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص: 53.

تقدم وبرفقته 180 جنديًا كان من ضمنهم 27 فارسًا في داخل البيرو. وبسهولة حقق بيثارو انتصارات قليلة على الهنود الذين جابهوه في بداية الأمر، وبعد ذلك اتخذ بيثارو طريقه خلال جبل مرتفع، و بعد ذلك خلال جبال الأنديز، حتى وصل إلى مدينة كاجاماركا التي كانت موطن الإمبراطور أتاوالبا، وعسكر بجيشه في الميدان الأوسط الكبير. ووفي الوقت نفسه لم يقم أتاوالبا بأي محاولة لإبعاد الإسبان عن عاصمة ملكه؛ لأنه كان واثقًا من تحقيق النصر عليهم. وعندئذ أرسل بيثارو رسالة إلى أتاوالبا، يدعوه فيها إلى القدوم إلى المعسكر من أجل التفاوض. وقد قبل أتاوالبا الدعوة، وفي اليوم التالي الموافق 16 من شهر تشرين الثاني عام 1532م، حُمل أتاوالبا على محفة إلى معسكر بيثارو، وكان برفقته 4 آلاف رجل، علاوة على حاشيته، وكهنته الكبار، وقادة جيشه، وعدد كبير من الحراس[31].

وأخذ الميدان الرئيس في المدينة يعج بآلاف من الخدم، والموظفين، والكهنة، والجنود غير المسلحين الذين جاؤوا استعدادًا للاحتفال الرسمي باللقاء بين ملكهم، وهؤلاء القادمين من العالم المجهول؛ ومع هذا الخوف قرر الإسبان استغلال عنصر المفاجأة لشن هجومهم الغادر، واستغل بيثارو مباني الإنكا في الميدان الكبير "أوزنو" لتنفيذ خطته الجهنمية، فوضع بعض المدافع الصغيرة في المبنى الحجري المقام وسط الميدان للإشراف على الاحتفالات، كما أخفى رجاله في القاعات ذات الأسقف الثلاثية والفتحات الكثيرة المسماة "**هالانكا**" التي كانت على حد تعبير أحد الجنود الإسبان "**كأنها صنعت خصيصًا لتناسب أغراضهم**"[32].

وفي تلك الأثناء أخفى بيثارو نفسه ورجاله خلف الأسوار والأبنية التي تحيط بالميدان، وبينما كان رجال الدين الإنكيون يتحركون إلى وسط الميدان، وجدوا هناك قسيسًا إسبانيًا فقط حاملًا معه الإنجيل، وإلى جواره مترجم هندي، وأخبر هذا القس الإسباني أتاوالبا وأتباعه عن عبادة آلهتهم المزيفة، وعليهم أن يعتنقوا ديانة الإسبان[33].

وعند إشارة متفق عليها مسبقًا هدرت المدافع، وخرج الجنود الإسبان الذي كان مختفين في القاعات، وانهمرت النيران من البنادق على جموع الإنكا غير المسلحين الذين لم يروا في حياتهم، ولم يتصورا في خيالهم مثل هذه الأسلحة التي تطلق النيران

---

[31]- برجر، جوزيف: مكتشفو العالم الجديد، ترجمة: السيد يوسف نصر، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1991م، ص: 60-61.

[32]- موسى، محمد العزب: حضارات مفقودة، ص: 126-127.

[33]- برجر، جوزيف: مكتشفو العالم الجديد، ص: 60-61؛ وللتفصيل حول اللقاء الأول بين الإنكا والإسبان انظر: Somervill; Barbara. A: Empire of the Incas, P: 58.

القاتلة، فسقط أمامها العشرات والمئات، فانتابهم الذعر، واستبد بهم الهلع حتى إن بعضهم ماتوا من شدة الرعب من دون أن يصيبهم سلاح. أما الجنود الإسبان فقد انقضّوا على هذه الحشود المذعورة المسالمة، وأعملوا فيهم حصدًا بسيوفهم، وحرابهم، وفؤوسهم، وبنادقهم، ومدافعهم، ثم هجموا على المحفة التي جلس عليها الملك، وانتزعوه منها بعد أن قتلوا النبلاء الذين يحملون المحفة؛ وكتب أحد الجنود الإسبان في مذكراته مفاخرًا بهذا "**النصر**" يقول: "**في ظرف ساعتين كانت كل هذه القوات قد أبيدت، وفي ذلك اليوم كان السهل يمتلئ بجثث ستة آلاف أو سبعة آلاف من الهنود، وكثيرون آخرون جرحوا أو فقدوا أطرافهم**"؛ وكتب آخر يقول: "**كان شيئًا لا مثيل له رؤية هذا الحاكم العظيم الإنكا وهو يقع في الأسر في مثل هذه الفترة القصيرة بعد أن جاء في قمة عظمته وقوته**".

بوقوع الملك في الأسر تشتت كل جيشه، وذهب هباء؛ لأن الملك هو مركز العصب في مجتمع الإنكا، ومن دونه لا يمكن أن يصنع أحد شيئًا، تمامًا كمثل خلية النحل إذا فقدت ملكتها تبعثرت وهلكت، ولذلك يقال دائمًا: إن فتح البيرو جاء نتيجة مثل هذه الحركة الشطرنجية في أول اللعب: "**كش ملك**"[34].

ت– أكبر فدية في التاريخ:

سرعان ما شعر " **أتاوالبا**" ملك الإنكا الأسير أن هؤلاء الغزاة الغرباء لا يهمهم سوى شيء واحد هو الحصول على الذهب والفضة، وفكر أنه يستطيع أن يفدي نفسه بفدية كبيرة من هذه المعادن الثمينة، فعرض على آسريه أن يطلقوا سراحه مقابل أن يملأ الحجرة[35] المسجون بها مرة بالذهب والفضة مرتين.

وأجاب الغزاة إلى طلبه، وبعد الترتيبات اللازمة سرعان ما بدأت قوافل حيوان اللاما تخرج من كل شعاب المملكة، وتقطع الطرق الملتوية الضيقة عبر جبال الأنديز متجهة إلى "**كاجاماركا**" حيث الملك السجين. وكانت هذه القوافل تحمل أطنانًا من الكنوز المعدنية الثمينة التي تبرع فيها شعب الإنكا. تماثيل رجال، وحيوان، وطيور، وكؤوس ذهبية، وفضية، ومجوهرات ومصاغ، وموائد قرابين ذهبية، وأوعية ضخمة مصنوعة من الذهب الخالص والفضة النقية، فضلًا عن 700 من الصفائح الذهبية الكبيرة التي كانت تزين جدران معبد الشمس في العاصمة "كوزكو". وجيء بهذه الكنوز إلى الإسبان فدية للملك أتاوالبا.

---

[34]– موسى، محمد العزب: حضارات مفقودة، ص: 126–127.

[35]– كان طول هذه الحجرة سبعة أمتار ونصف وعرضها خمسة أمتار ونصف؛ انظر: مراد، محمود: الاستكشافات الجغرافية في 4000 سنة "من القرن العشرين قبل الميلاد إلى القرن العشرين بعد الميلاد"، مطبعة النهضة، القاهرة، 1915، هامش رقم 1، ص: 86.

وسُحِقَت كل هذه الأشياء الرائعة الثمينة من دون رحمة، وصهرت في قدور ضخمة لتحويلها إلى سبائك معدنية بواسطة الغزاة المتوحشين. وقد أرسلت أحسن هذه التحف إلى إسبانيا، ولكنها هناك لم تنجُ من المصير نفسه؛ إذ أمر ملك الإسبان بصهرها أيضًا لسك العملة الإسبانية التي تحمل صورته.

ومن المحتمل أن تكون فدية الملك أتاوالبا هي أكبر فدية دفعت في تاريخ الإنسان. إن كل ثروات إمبراطورية الإنكا التي جمعت خلال ألف سنة قد وصلت إلى هذا المكان كي تملأ الحجرة بالذهب مرة وبالفضة مرتين، ولكنها للأسف لم تكن كافية لإنقاذ حياة الملك؛ إذ بعد أن حصل الإسبان على آخر حمل جاء به آخر حيوان من قافلة اللاما، عرضوا على الملك أن يتحول للمسيحية أو يقطعوا رأسه، وعندما رأى الملك قسوة الإسبان وافق على التحول إلى المسيحية مقابل عدم قطع رأسه[36]، ومع ذلك لم يشفع هذا التحول له فقد اقتاده الإسبان إلى الميدان العام في كاجاماركا وأعدموه بحجة أنه كان ينظم سرًا هجومًا على الإسبان.

وكانت هذه كذبة كبرى؛ لأن قادة الإنكا لم يجرؤوا على مهاجمة كاجاماركا وملكهم سجين فيها خوفًا على سلامته، والحقيقة أن الإسبانو لاسيما بعد أن وصلتهم تعزيزات جديدة قرروا احتلال هذه الإمبراطورية العظيمة التي اكتشفوها، خشوا أن يطلقوا سراح الملك أتاوالبا بعد أن دفع الجزية خوفًا من أن يجتمع رجاله حوله، ويقوموا بهجوم، كما خشوا أن يصحبوه معهم في تغلغلهم داخل مملكته تحسبًا من أي مفاجأة.

وبعد موت الإنكا أتاوالبا، أصبحت الإمبراطورية تحت رحمة الغزاة. واستولى بيثارو في عام 1533م على مدينة كوزكو بمبانيها المرصعة بالذهب[37]، وهذا الأمر جعله يفرض سيطرته على البلاد عمليًا. وبدأ البحث عن مكان يكون أفضل نقطة للاتصال مع إسبانيا، ويستخدمه كعاصمة للبيرو في الوقت نفسه. ومن أجل ذلك قام بتأسيس مدينة ليما (مدينة الملوك) في 18 كانون الأول 1535م[38].

ومع ذلك لم يستسلم الإنكيون بسهولة بعد أن نصب بيثارو نفسه على رأس كوزكو. فقد أدرك مانكو إنكا"Manco Inca" الحاكم الدمية، أنه ألعوبة بأيديهم فهرب ليشكل مقاومة في أعماق غابات شرق كوزكو. وحشد جيشًا كبيرًا وضرب الحصار على كوزكو في العام 1536. وهاجم جيش آخر مدينة ليما التي أُسست حديثًا في ذلك الحين.

---

[36]- Somervill; Barbara. A: Empire of the Incas, P: 62.

[37]- سيجورنه، لاوريت: أمريكا اللاتينية، ص: 62.

[38]- رودريجث، أوخينيو تشانج: ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية، ترجمة: عبد الحميد الغلاب وأحمد حشاد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1997، ص: 94.

وبعد شهور من القتال، كُسر الحصار على كوزكو، ليس بتفوق سلاح أو استراتيجية؛ بل لأن الجيش الإنكي اضطر للعودة للقيام بأعمال الزراعة في موطنه الأصلي. وانتهى حصار ليما بسرعة عندما قتل هجوم إسباني معظم القادة الإنكيين[39]. ومع أن ثورات أخرى اندلعت خلال السنوات اللاحقة، بيد أن القليل منها كانت له آثار خطيرة، وقمعت غالبيتها في وقت قصير[40].

وبالرغم من القضاء على المقاومة الهندية وإخمادها، إلا أن الدولة لم تنعم بالسلام؛ لأنه سريعًا ما بدأ الغزاة في الانقسام على أنفسهم بسبب الأطماع السياسية والجشع، وكان بداية الانقسام هو اغتيال دييغو ألماغرو على يد بيثارو في السجن، وتفجرت الحرب الأهلية التي استمرت أكثر من عشرة أعوام (1538–1548)م، وعاثت في البيرو دمارًا، وامتدت الخلافات التي بدأت بين ألماغرو وبيثارو لتشمل الغزاة الآخرين، وأقامت مجتمعًا كانت القاعدة فيه هي الحنث بالعهود، والقتل غدرًا، والمذابح الجماعية، والعقوبات الصارمة، والسطو المسلح، وحين أضعف موت الممثلين الأساسيين من حدّة هذه التناحرات الشخصية، وكان الفساد قد استشرى وتوطّد حتى إن بعض الإجراءات النازعة إلى حماية الوطنيين كانت كافية لإشعال الحرب من جديد، وضد الحكومة الإسبانية نفسها هذه المرة، وقد جرى اغتيال نائبين للملك (يلاسكو مونييث بيلا أول نائب للملك في البيرو، وبدرو دي لاجاكسا) قبل أن يتمكن الثالث (أنتونيو دي ميندوسا) الذي كان يشغل منصب نائب الملك[41] في المكسيك من قبل، ومع وصول هذا النائب يبدأ تاريخ الاستعمار الطويل في البيرو[42].

الخاتمة:

هكذا وخلال مرحلة وجيزة من الزمن استطاع الغزاة الإسبان القضاء على إمبراطورية الإنكا، وتدمير أوابدها الأثرية، وإبادة جزء كبير من سكانها بحجة أنهم يسعون إلى تحويل هؤلاء السكان إلى المسيحية والارتقاء بهم إلى مستوى الإنسان الأوروبي مع أن هذه الإمبراطورية شهدت تقدمًا عمليًا وحضاريًا وعمرانيًا منقطع النظير قلَّ وجوده في حضارات العالم القديم عامة وحضارات القرن السادس عشر، وتفوقت على الجنس الأوربي والحضارة الأوربية نفسها.

---

[39]- D'Altroy, Terence: The Incas, Malden, MA Blackwell, 2002, P: 318

[40]- مالباس، مايكل. أ: عصر الإنكا، ص: 206–207.

[41]- كان لقب نائب الملك: سعادة الدوق النائب، والقائد العام، ورئيس الديوان الملكي، والشؤون المالية مراقب المفوض الملكي للشؤون الدينية والمدنية، والمدير العام لمحكمة التعدين المحافظ، نائب راعي الملكية، وما إلى ذلك؛ للمزيد من المعلومات انظر: (AHN, Consejos, leg. 20343, Exp. 3/159, f.74)

[42]- رودريجث، أوخينيو تشانج: ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية، ص: 94.

كما أكدت عملية الإبادة ونهب الثروات على كذب ادعاءات الإسباني، وكشفت حقيقته القائمة على الطمع بثروات هذه البلاد، ونهب خيراتها، والدليل على ذلك أنهم حولوا كل ثروات هذه الإمبراطورية وميراثها الثقافي والحضاري إلى سبائك ذهبية أرسلوها إلى ملكهم في قشتالة ضاربين بعرض الحائط كل القيم الإنسانية والحضارية.

الملاحق

(1)

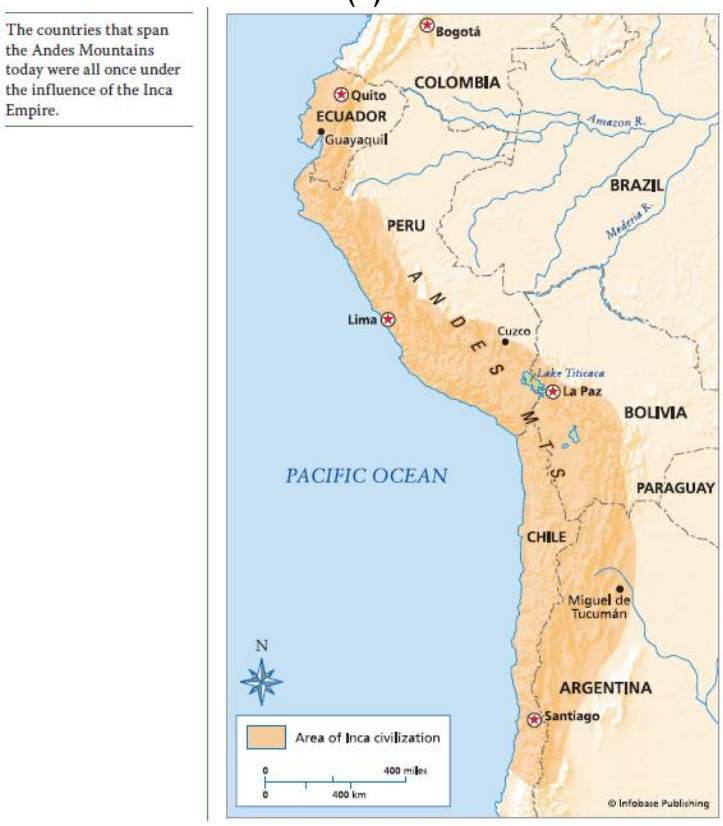

حدود إمبراطورية الإنكا

نقلًا عن: مالباس، مايكل. أ: عصر الإنكا، ترجمة: فالح حسن فزع، ط1، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، مشروع كلمة، أبو ظبي، 2012.

(2)

حدود إمبراطورية الإنكا. نقلًا عن

https://www.google.com/search?q=%D8%AE%D8%B1%D9%8A%D8%B7%D8%A9+%D8%A5%D9%85%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D8%B7%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A9+%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D9%83%D8%A7&rlz=1C1GGRV_enSY758SY762&biw=1280&bih=669&tbm=isch&source=iu&ictx=1&fir=v9YH7aGM9NjsbM%253A%252C27pMLGFQRo6xSM%252C_&usg=__YpZnAxiASsndRAnMx9tA_9WW85o%3D&sa=X&ved=0ahUKEwjLsMbitMbZAhWGOhQKHRwGCYgQ:9QEIdzAH#imgrc=v9YH7aGM9NjsbM

مصادر ومراجع البحث:

المصادر العربية والمعربة:

1. برجر، جوزيف: مكتشفو العالم الجديد، ترجمة: السيد يوسف نصر، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1991م.

2. خليل، نبيل خليل: أمريكا بين الهنود والعرب، ط2، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2006م.

3. رودريجث، أوخينيو تشانج: ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية، ترجمة: عبد الحميد الغلاب وأحمد حشاد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1997.

4. سيجورنه، لاوريت: أمريكا اللاتينية الثقافات القديمة ما قبل الكولومبية، ترجمة: صالح علماني، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003.

5. كورتيل، آرثر: قاموس أساطير العالم، ترجمة: سهى الطريحي، دار نينوى للنشر، دمشق 2010.

6. لانجر، وليام: موسوعة تاريخ العالم، ترجمة: محمد مصطفى زيادة، جـ4، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة–نيويورك، 1963.

7. مالباس، مايكل. أ: عصر الإنكا، ترجمة: فالح حسن فزع، ط1، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، مشروع كلمة، أبو ظبي، 2012.

8. مراد، محمود: الاستكشافات الجغرافية في 4000 سنة "من القرن العشرين قبل الميلاد إلى القرن العشرين بعد الميلاد"، مطبعة النهضة، القاهرة، 1915.

9. موسى، محمد العزب: حضارات مفقودة، ط2، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1992، ص: 125.

10. يحيى، جلال: التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، سيطرة أوروبا على العالم، جـ4، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، د. ت.

11. مجموعة من المؤلفين، الموسوعة العربية، ط1، جـ17، دمشق 2007.

المصادر والمراجع الأجنبية:

1. AHN, Consejos, leg. 20343, Exp. 3/159, f.74 r

2. Bruhns, Karen. O: Ancient South America, Cambridge, Cambridge University press, 1994.

3. D'Altroy, Terence: The Incas, Malden, MA Blackwell, 2002.

4. Kendall, Ann: Everyday Life of the Inca, New York, G. P. Putnam and Sons, 1973.

5. Somervill, Barbara. A, Empire of the Incas, Chelsea House. New York, 2009.

6. Rowe, John. H: Inca culture at the time of the Spanish conquest. In Handbook if South American Indians, Vol(2), The Andean Civilizations, edited by Julian H. Steward, 183-330. Washington, DC: Bureau of American Ethnology, 1946.